بنية النماذج المعرفية للزمن في اللغة العربية

د. عبد الكبير الحسني(*)

تقديم

يعالج هذا الموضوع أوضاع الزمن المعجمية والدلالية، الشيء الذي تطلب منّا بلورة معرفية نعمل من خلالها على تمثيل للمقولة (Categorezation) بحسب النمط الزمنيّ الذي نسعى إلى التأشير عليه، كما يتطلب الأمر أيضًا صيغ عمل جديدة نحدد من خلالها إطار عمل توافقيّ (Framework Harmony) يجمع بين صيغة الفعل ومؤشراته الزمنية. هذا إلى جانب آليات سياقية تسمح لنا بتعيين الصيغة الموافقة للاستعمال. لذلك يمكن القول إن الاستعمالات تحقق المقولة، وأن الصيغ توحد بنيتها الزمنية. فعندما نتحدث عن النماذج المعرفية المرتبطة بالزمن، فإننا نتحدث عن مدى قدرتنا على فهم النسق الزمنيّ من منطلق الارتباط العام الذي يؤلِّف بينها وبين الوحدات المعجمية التي تتكامل بهدف تحقيق أنماط معرفية متمايزة عن غيرها بالثبات والاستمرار.

هذا ما جعلنا نفترض أن الجوانب الجوهرية للنماذج المعرفية المحيلة على الزمن مرتبطة بشكل نسقي مع الوحدات المعجمية من قبيل: الحركة والمكان والفضاء، من حيث تموضعها في الفضاء. الشيء الذي يساهم في ضبط سلوك الإحالة الزمنية ومنسقتها، إذ نتمكن من رصد "المكان" ضمن إطار زمنيّ مؤشر

(*) أستاد باحث في مجال اللسانيات، الرباط- المغرب.

عليه بوسائط مثل: الأحداث والكيانات، لذلك تظل الوظيفة العامة التي تضطلع بها هذه النماذج المعرفية متمثلة في تحديد الإطار المرجعيّ المساهم في تقييم التجربة المرتكزة تحديدًا على كشف "البعد الزمنيّ" وتثبيت "إحالته الزمنية".

تتيح لنا إمكانية الاشتغال على الدلالة المعرفية استنباط افتراضات تعكس بجلاء طبيعة الأنساق المعرفية التي يعمل الدماغ البشريّ على رسم حدودها، فنحن حين نريد أن نموقع (حدثًا، لحظة، فترة... ما) فإننا نستخدم مجموعة من العبارات التي تحتوي في بنيتها تصورنا العام عن الفضاء[1]، الشيء الذي يجعل من البنية العامة للزمن بنية محيلة ومؤطرة للبعد المكانيّ وللحيز الفضائيّ الذي تؤشر عليه اللغة، بناء على وسم (Marking) العلاقة التي تربط المتكلم بإمكانات تحركه في الفضاء، فالذات، عندما تعمل على موقعة المكان/ الحيز/ الحدث/ لحظة.. معينة، تكون هي مركز الإحالة، لأن موقعة هذه الموضوعات لا يمكن أن تتحدد قيمتها إلا بالنظر إلى مركزيتها. وعليه، ندرك أن الإحالة الزمنية تنبني تحديدًا على ثلاثة أبعاد أساسية، نفترض من خلالها أن اللغة العربية تملكها لكي تعبر عن نسقها الزمني.

1 – ضبط سلوك الإحالة الزمنية.

من الاقتراحات الأساسية التي نعتمد عليها في رصد سلوك الإحالة الزمنية ما تم تقديمه في "ايفانز" (2004)[2]، الذي حاول أن يجعل من التجربة البشرية أساسًا لبناء إحالة زمنية دقيقة، بل إن الوعي بهذه التجربة ومحاولة فهمها فهمًا دقيقًا يقود، بالتأكيد، إلى رسم تصورات دقيقة وذاتية تتكيف مع المنظور الذي فهمنا من خلاله الزمن، الأمر نفسه نجده مهيكلا في عمل "لايكوف وجونسون " (80)[3] الذي نبهنا إلى وجود سلطة استعارية تساهم في خلق معنى

(1) عبد المجيد جحفة (2000)، **مدخل إلى الدلالة التوليدية**، ص 115.

(2) للمزيد من التفاصيل انظر : "ايفانز" (2004) .

(3) لايكوف و جونسون (1980). ص، 21.

جديد ينظر إلى التجربة الخاصة مع الزمن من زاوية أنها محدودة، بحيث أننا نرصد الماضي بناءً على الأحداث المتذكرة (المخزنة)، ونفهم أن الحاضر هو ما نعيه لحظيًّا (الآن)، أما المستقبل فيرتبط بالأحداث المتنَبإ بها.

الملاحَظ أن هذه المعاني أو التصورات يمكن أن تؤشر بشكل مباشر كون المحيط الزمنيّ في العربية قد بني، تحديدًا، على ترتيب هذه المفاهيم نموذجين: خطٌّ خلفي تقرأ من خلاله الأحداث المخزنة ويكشف عنها بالنظر إلى ما فات. وخطٌّ أمامي يُمكّننا من وضع تنبؤات حول ما يمكن أن يقع من أحداث أمامنا. لذلك ندرك أن هذا الخط يُمكّننا من وضع مخططات وافتراضات وتنبؤات لا تصح أن تسقط على الخط السابق. ثم خط آنيّ (الحاضر) يُمكّن من رصد اللحظة ومعايشتها، ويحصرنا في مجال زمني ضيق لا يسمح لنا بتجاوزه أو تخطيه طواعية. ولرصد هذه الحدود ننظر في السياقات التالية:

(1)– أ – أتذكر قصتي مع الدراسة.

ب – * أتذكر قصتي في المستقبل.

(2)– أ – أتنبأ لك بمستقبل زاهر.

ب– * أتنبأ لك بماضٍ زاهر.

(3)– أ –أعيش لحظتي بكل سعادة.

ب –* أعيش لحظتي في المستقبل.

ج –* أعيش لحظتي في الماضي.

في تصورنا للزمن، من المؤكد، أننا قد نجني فائدة كبيرة من الغنى التصوّريّ المتأصّل في المجال الفضائيّ بالكامل، وفي تمثيل بناء عناصره على أساس النسق الزمني. تُمكّننا البنية الواردة في (1) من رصد أن ما يجري في الماضي (1 أ) لا يمكن أن يتماثل مع ما يجري في المستقبل (1ب)،لأن التقاطع الزمني لا يوفر مؤشرات محيلة تتواءم مع سمات الفعل الزمنية، بمعنى آخر أن الخط الخلفيّ

لا يمكن أن يتقاطع مع الخط الأمامي بالنظر إلى وسيط [± حدث ، زمن]. هو الأمر الذي يجعل من البنية (1ب) بنية لاحنة، لأن تذكر القصة باعتبارها حدثًا متأصلاً في الماضي لا يمكن له أن يتوازى أصلاً مع الخط الأمامي المحيل على المستقبل.

الأمر نفسه نجده مؤكدًا في البنية الواردة في (2 أ) التي تجعل من حدث التنبؤ حدثًا ذا قوة قضوية أكيدة بالنظر إلى احتمال وقوعه ضمن حيز زمني أمامي، لذلك فمجال هذا الخط لا يزال ممتدًا بالنظر إلى إمكان إدراكه وحدوثه، لكن ما يجعل البنية (2 ب) بنية لاحنة كون حدث التنبؤ لا نجد له امتدادًا زمنيًّا، بل إن الانقطاع الزمني مع الحدث يفسّر ضمنيًّا انقطاعًا للخط الزمني مع الماضي، وبالتالي تسقط البنية منطقيًّا.

أما في (3 أ) نجد أن حدث المعايشة يرتبط ضمنيًّا بالموازاة القائمة بينه وبين تمركز الذات اللحظي (الآني)، لذلك ندرك أن الذات تتماهى مع الحدث على خط موازٍ، هو التماهي الذي يفسر إمكانية رصد اللحظة والحدث بصورة مختلفة عن تلك التي نصادفها في البنى الزمنية الأخرى، هو الشيء الذي لا نجده في (3ب) و(3ج) اللذين لا يتوفران على نفس القراءة، بل إن ما يجعل منهما بنيتين لاحنتين هو عدم وجود إمكانية لرصد ذلك التماهي الذي تحدّثنا عنه، فعيش اللحظة آنيًّا لا يمكن أن يقرأ زمنيا من خلف الذات ولا من أمامها، لأن الأمر لا ينسجم مع التصورات الممكنة التي تتم قولبتها (Modulation) زمنيًّا وفق مساهمة واضحة من التجربة اللغوية[4].

وعليه، قد نستخلص أن هذه الخطوط الزمنية لا تتقاطع فيما بينها إلا في اللحظة التي تعي فيها الذات أنها مركز إشاري محيل على أحدهما، فجميعها

(4) محمد غاليم (2002)، **الأبجدية الدلالية والتوليد**، ضمن "المعجم العربي المولد"، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، ص 176، الرباط.

تجعل من الذات محور امتداد ينطلق من الماضي، ويمرّ عبر الحاضر، ثم يتنبأ بالمستقبل، "لأن الزمن حي والحياة زمانية"[5].

تملك هذه التنويعات الزمنية علاقة مباشرة بالتخصيص الدلالي للإحالة الزمنية، لأن هذه البنى تشكل خطوة شمولية يتداخل فيها الزمن مع مجموعة من الروابط المحيلة التي تنسجم مع مبدإ التأويل العام (Général interprétation principle)[6]، فالالتباس الحاصل في الأمثلة اللاحنة يرجع إلى أن الحاضر المكتمل يشترط تصدير الصيغة الفعلية بموجه زمني (قد..سوف..س..) لأن الظرف في اللغة العربية لا ينعت زمن الإحالة لأنه يرتبط بزمن الحكي، وليس بزمن التلفظ[7] كما أن جهة بعض الأفعال الداخلية لا تسمح بالامتداد والاسترسال في زمن الحاضر لأنه يشكل فاصلاً ممتدًّا رابطًا بين الماضي والحاضر.

1.1 – أبعاد الزمن في العربية.

تملك كل لغات العالم، نموذجيًّا، أشكالا تميز من خلالها الأبعاد الزمنية في علاقتها بالمكان، هي الأبعاد التي يتم بناؤها بحسب الجهاز الفطري الذي تمنحه التجربة اللغوية عبر الربط التأليفي بين التصورات المعجمية والذاكرة باعتبارها خزانًا قابلاً للاستعمال، إلى جانب المكونات الصواتية والتركيبية[8]. فاللغة العربية، بهذا المعنى، تُستخدم في التعبير عن الزمن مجموعة من حروف الجر التي تعمل على توزيع النسق الزمني على أبعاد ثلاثة: البعد الصفري الذي يُستخدم في اللحظات الزمنية الآنية (اللحظة)، والبعد الثنائي الذي يستخدم في التعبير عن الفترات الزمنية المحددة، (عيد الميلاد، الأعياد الوطنية، الأيام العالمية...)، ثم

(5) كاستون باشلار (88)، **جدلية الزمن** – ترجمة خليل أحمد خليل، ط 2، ص 15.

(6) مبدأ يقوم على ضرورة التمثيل للسمات الصورية المبنية على واجهتي الصوت والدلالة،في محاولة للبحث عن اشتقاقات قابلة للتأويل .

(7) للتعرف على حدود التمايز بينهما يرجى الاطلاع على عمل محمد الملاخ (2010)، **الزمن في اللغة العربية**، منشورات الاختلاف، ص370 .

(8) محمد غاليم (2002)، ص، 175.

البعد الثلاثي الذي نعبر من خلاله إلى الفترات الزمنية من حيث الطول أو القصر، (الامتداد الزمني)، وهو الأمر الذي نوضحه في الجدول التالي:

الأبعاد	الأمثلة	النقطة الزمنية المرجعية
البعد الصفري	– في هذه اللحظة	(الآن)
ثنائي الأبعاد	– في عيد ميلادي	(22 أكتوبر 1979)
ثلاثي الأبعاد	– في غضون شهر	(الامتداد عبر فترات زمنية قد تطول أو تقصر)

شكل 1: نموذج للأبعاد الزمنية في العربية

الجدير بالملاحظة أن هذه الأبعاد المرتبطة بالفضاء الزمني، بالتأكيد، لا يتم انتقاؤها عشوائيًّا داخل جميع اللغات، انطلاقًا من فرضية أن هذه التحديدات ربما تكون قد شكلت أو تأسست من منطلق السيرورة التاريخية للغة[9]، هو الأمر الذي يعكس أن جميع اللغات قد تتباين في التعبير عن أبعادها الزمنية بالطريقة التي يتيحها لها نسقها اللغويّ، من جهة، والإمكانات الإدراكية التي تزودها لمستعمليها في عملية حسابها، من جهة أخرى، لتشكل بذلك نمطها الخاص في التعبير عنها. إذًا فهي تخرق القاعدة لكنها لا تشكل الاستثناء. هذا التباين يعكس أن جميع اللغات تبحث عن وسائل تنظم من خلالها هذه الأبعاد وفق المستلزمات الإدراكية المبنية على نظام قياس إدراكي، نوضحه من خلال البنى التالية:

(4) – أ – انتهت المقابلة في هذه اللحظة بالذات.

ب – تحتفل المرأة بعيدها في 8 مارس من كل سنة.

ج – سأسافر إلى باريس في مطلع السنة المقبلة.

(9) Radden, Günter. (2003). ***The Metaphor TIME AS SPACE across Languages***. Baumgarten, Nicole/Böttger, Claudia/Motz, Markus/Probst, Julia, (eds.) Hamburg, p (27).

إذا كانت هذه البنى تتقاطع في كونها تحمل إشارات زمنية أكثر منها فضائية، فهي تُفسَّر من منطلق أن ما هو فضائيّ لا بد وأن ينسجم مع متطلبات زمنية معينة، فهذه المواضعات الزمنية تعمل على حصر الزمن في نقط محددة، تؤشر على إمكان صياغة قراءة منطقية محكومة ب"المدى الزمنيّ المكتمل" (Perfect time span) كما هو مؤشر عليه في (4ب)، أو ب" فاصل زمنيّ فرعيّ" (Subintervel propertie) كما هو مبين في (4ج)، أو بالمدى الزمني الممتد (4أ) الذي يحكم التأويل المنطقيّ العام للسياق الوارد في (4).

لذلك يتم الربط بينها لرسم أبعاد محوسبة بدقة، تعمل على تفسير النسق الزمنيّ للغة العربية. مبدئيًّا، هناك ثلاثة أبعاد تعبّر عنها الجمل الواردة في (4)، هي الأبعاد التي تعمل على تفسير البنية الواردة في (4أ) كونها تقتضي قراءة رأسية توازي بين الذات، باعتبارها نقطة زمنية إحالية، وبين حدث نهاية المقابلة أفقيًّا. هو المعنى الذي يوضحه الرسم التالي:

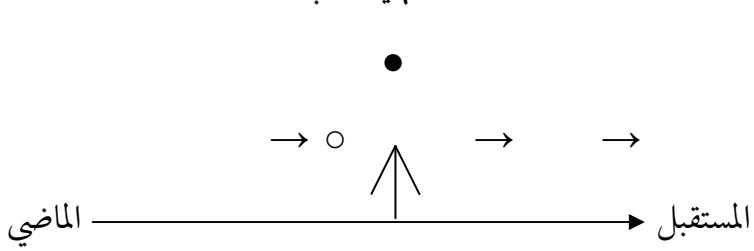

شكل 2: رسم توضيحي لعلاقة التوازي بين الذات و الحدث

فالتوازي القائم بين الذات والحدث هو الذي يجعل من قراءة المثال مؤولة على البعد الصفريّ؛ أي أنهما يتقاطعان داخل فضاء زمني واحد ، على الرغم من وجود ما ينفي أن تكون هذه العلاقة مؤشرة على بعد من الأبعاد[10]. هو الأمر

(10) Haspelmath, M (1997) , ***From Space To Time***, LINCOM EUROPA, München, Newcastle, p (22).

الذي نجده مخالفًا عندما ننظر إلى البنية الواردة في (4ب) التي تؤشر على لحظة زمنية محددة، لكنها تتمايز عن غيرها لكونها تتموقع على بعد مسافة زمنية مضبوطة. الشيء الذي يفسر أن الذات عندما تؤشر زمنيًّا على ذلك فإنها تستدعي، إدراكيًّا، عملية حسابية نقيس من خلالها الفترة فتكون الحصيلة بُعدين، بُعد اللحظة التي تتموقع فيها الذات، وبُعد اللحظة التي من المفترض أن تقع (المستقبل) ، أو أن تكون قد وقعت (الماضي)[11].

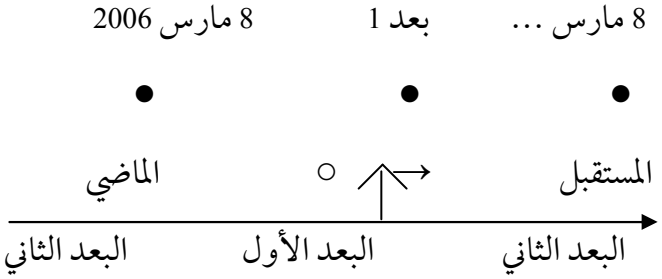

الشكل3:رسم توضيحي للبعد الثنائي في العربية

تقود القراءة التي تمنح قوة إجرائية في عملية تحديد الأبعاد الزمنية في العربية نحو بناء استيعاب واضح بكيفية الربط بين الحركة والفضاء، هذا الربط الذي ساهم في اختيار الدوافع التي تقود نحو منسقة الإطار الزمني[12] مع القبض على معالم تُمكننا من معالجته. فالشكل (3) يوضح أن الذات تُقرأ فضائيًّا

(11) هناك مجموعة من المسوغات التي تعمل على خلق نوع من التوافق أو التوازي بين العبارات الزمنية والفضائية، خصوصًا عندما نريد أن نعبر عن دلالة الامتداد (امتدت المقابلة إلى الأشواط الإضافية) (امتد الطريق السيار حتى أكادير)، فإذا كان السياق الأول يحصر البعد الزمني في الربط بين كل الأجزاء التي تشكل المسار الزمني الممتد إلى الأشواط الإضافية، فان السياق الثاني يخصص مسارًا فضائيًّا يربط هو الآخر بين كل الأجزاء التي تشكل المسار الممتد حتى أكادير، ومن ثمة خلق نوع من التوافق بينهما، إلا أن الأمر لا يعني دائما ذلك بالنظر إلى أن طبيعة الأبعاد التي تكون كل واحد منهما، فنحن لا نتصور الفضاء باعتباره خطًا واحدًا، أما الأزمنة فنتصورها سيرورة منظمة في خط تسلسلي يخترقنا ونخترقه.

(12) Haspelmath,M (1997), ***From Space To Time,*** p. 22.

كونها تشكل بعدًا أوليًّا، لأنها تمثل منطلقًا إحاليًّا مركزيًّا، أما البعد الثاني فتؤسسه النقطة الزمنية (8 مارس) الذي يصادف الاحتفال باليوم العالمي للمرأة، وهي نقطة يمكن أن تقع على المحورين الأمامي أو الخلفي لأنهما مبنيان على فعل السيرورة القادم من (الماضي) نحو (المستقبل) بناء على نسق الامتداد، لكن الشيء المثير للجدل هنا يتحدد في أن (8 مارس) تشكل بُعدًا إحاليًّا رغم تموقعها في أزمنة لا توازي تموقع الذات، الشيء الذي يجعلنا نؤول النسق كونه ثنائي الأبعاد.

أما في البنية (4ب)، فالأكيد أننا نستشعر تغيرًا في عملية الإحالة، بالنظر إلى عدم وضع تاريخ محدد ومضبوط يتم فيه حدث السفر، الأمر الذي يجعل المجال مفتوحًا على أي لحظة من اللحظات التي تربط بين الذات وبين حدث السفر من جهة، وبين الذات واللحظة الزمنية التي سيتم فيها هذا الحدث من جهة أخرى، بمعنى آخر، ستكون الذات والحدث واللحظة هنا أبعادًا مؤسسة على التنبؤ والافتراض الذي يوجه المسار الزمني نحو الأمام، فالاختلاف بين هذه البنية والبنى الأخرى (4أ) (4ب) كونها تموقع اللحظة والحدث في الأمام، لكنها تتقاطع مع (4ب) في إمكانية البعد الثنائي أن يموقع إحالته الزمنية في الأمام، لتوضيح ذلك نتأمل الشكل التالي:

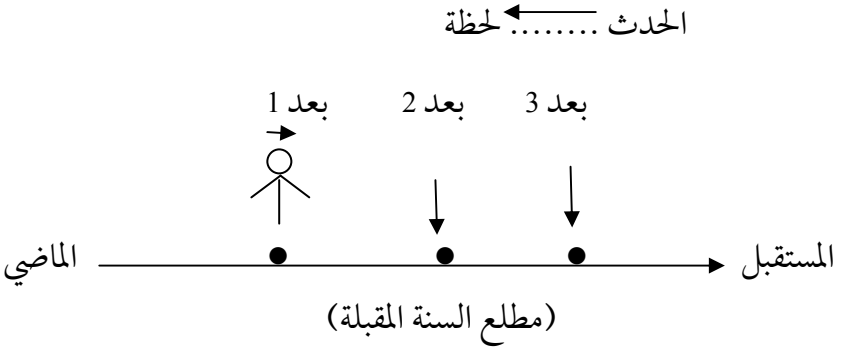

الشكل4: رسم توضيحي للبعد الثالث في اللغة العربية

ما يجعل القراءة مبنية تحديدًا على ثلاثة أبعاد، يُفسر من منطلق أن الذات تؤشر إلى لحظة زمنية أمامية مؤطرة، مرجعيًّا، بحدث مفترض، هذا الحدث الذي يمكن أن يقع في أي نقطة من النقط التي تربط بين البعدين الثاني والثالث[13].

جدير بالذكر أن اللغة العربية عندما تستلزم هذه الأبعاد، فإنها تفترض في ذلك تحقيقًا زمنيًّا متباينًا، يوصف بعدم التجانس من حيث أبعاده، وبالارتباط من حيث السيرورة التي تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ممّا يفسّر أن اللحظة الزمنية تستعير بعدًا صفريًّا في التعبير عن الحاضر، باعتباره نقطة زمنية آنية، أما المدة فيتم وصفها من منطلق بعدين تستعير من خلالها الطول أو القصر، سواء تموقعت في الأمام أو في الخلف بناء على المدى الزمنيّ للحدث الذي يعمل على نقل الحدث من الماضي إلى المستقبل و يمتد به. إضافة إلى ذلك، نصادف أن اللغة العربية تستعير في التعبير عن الفترة الزمنية ثلاثة أبعاد ترتبط بالامتداد إذا كان التركيز على مبدإ الاستمرار، أو "الفترة" إذا كان التركيز على مدتها، كما هو الحال عندما نتكلم عن عمل مشترك جمع بين اثنين لمدة سبع سنوات مثلاً، فهي فترة زمنية مؤطرة من حيث المدة التي يستغرقها العمل المشترك، وبالتالي فإنها تعمل على تخصيص حيز زمني أو مساحة زمنية يطبعها الامتداد[14].

2.1 – طرق بناء الإحالة الزمنية.

إذا كانت بعض الأدبيات اللسانية قد تحدثت عن الإحالة الزمنية من جوانب مختلفة توزعت بين مقاربات تقليدية قادها نحويون عرب قدامى (الزمخشري في المفصل، ابن يعيش في شرح المفصل، سيبويه في الكتاب)، أو

(13) إن هذا التحليل يتناقض مع بعض الطروحات المقترحة من طرف العديد من الفلاسفة الذين تصوروا أن العالم يمكن أن يُقسم زمنيًّا إلى أربعة أبعاد، منطلقين في ذلك من اعتقاد أن الفترة الزمنية قد تشكل بعدًا مستقلاً، ووفقا لهذا التصور فإنه تم تقسيم أجزاء المكان والفضاء إلى أربعة أبعاد مبنية على السيرورة.

(14) Radden, Günter. (2003). ***The Metaphor TIME AS SPACE*** across Languages., p 228.

أخرى حديثة قادها مجموعة من اللسانين أمثال (تمام حسان ، الفاسي الفهري، كمري...) هي المقاربات التي توزعت بين ما هو دلاليّ، تركيبيّ، منطقيّ، وتداوليّ.. التي حاول عبد المجيد جحفة أن يلخصها في ثلاث فرضيات، مؤسسًا إيّاها على أعمال كل من "داوتي" (86) (Dowty)، و"فاندلر" (67) (Vandler) [15]، إذ يرتبط بعضها بجانب اعتبار الزمن اللغويّ قرينة إحالية، مثله في ذلك مثل باقي المقولات التصورية الأخرى كالشخص والفضاء. ويرتبط بعضها أيضا بالمؤشرات العائدية أو الإشارية التي تضبطها (الإحالة) مثلها في ذلك مثل المؤشرات الإحالية الأخرى كالضمائر وأسماء الإشارة. وقد يرتبط جزء منها أيضا بمشكل الترتيب الزمنيّ للطبقات الجيهية التي نؤول من خلالها الأفعال والجمل. قد بنى "ريشنباخ" (47) الإحالة على مبدأ القرينة المتبناة في الاعتبار الأول، مطورًا إياها لكونها لا تعتمد على نقطة ارتكاز واحدة، وإنما أسس ذلك على ثلاث نقط: زمن الإحالة وزمن التلفظ والحدث. وهذا الأمر الذي قدم حوله "جحفة"(2000) مجموعة ملاحظات نجملها في اعتباره أن هذه البنيات الثلاثة تؤدي المعنى نفسه، خصوصًا عندما نعي أن التراكيب تبني علاقتها الزمنية فيما بينها، فكيف يمكن لهذا النسق الثلاثي أن يتجاوز حدود الجملة[16] ؟ هو سؤال نجد إجابة عنه عند " كمري" (81) الذي عمد إلى صياغة مجموعة انتقادات أوردها "جحفة"(2000) لنسق "ريشنباخ" على الشكل التالي:

أن علاقة السبق التي أوردها "ريشنباخ" ينبغي أن يتم تكييفها مع كل اللغات، من منطلق ضرورة التمييز بين درجات التباعد بين الماضي والمستقبل، كما أن هناك مجموعة من اللغات التي تتألف من أزمنة نسبية، فنجدها تربط بين الإحالة والحدث، ولا يتم الربط بينها بزمن التلفظ، فالعلاقة بين الإحالة والتلفظ ليست ضرورية في تحديد الأشكال الزمنية[17].

(15) للمزيد من الاطلاع على هذه الفرضيات انظر : جحفة (2000) ،ص، 20.

(16) أنظر جحفة (2000)، ص، 39.

(17) أنظر جحفة (2000)، ص، 40.

إذا كانت كل هذه الملاحظات والانتقادات التي أبداها كل من "جحفة" و"كمري" تستدعي الكثير من المعالجة والتدقيق، فإنها تعطينا الضوء بإمكانية فرز معطيات جديدة تعود نحو تشكيل نسق جديد تُبنى من خلاله الإحالة الزمنية، هذا النسق الذي ينطلق من إمكانية وضع طرق جديدة نضبط من خلالها سلوكاتنا التي تساهم في تأويل معطياتنا الزمنية، بل إن هذه السلوكات هي التي تكون حاسمة في بناء الإحالة والتأكيد عليها، إذ تمنحنا إمكانية وضع العديد من التنبؤات نفترض من خلالها وجود طريقتين أساسيتين في بنائها، طريقة أولى تنظر إلى الإحالة من منطلق تحرك الذات عبر الزمن، والثانية تنظر للأمر من منطلق تحرك الزمن وتموقع الذات على نقطة محددة، مرتكزين في ذلك على العمل الذي قدمه "ايفانز" (2004)، الذي حاول أن يؤسس للإحالة بناء على هاتين النقطتين، وقد سبقه في ذلك عدد من الباحثين أمثال:" كلارك " (73)، و"لايكوف وجونسون" (80)، "لايكوف" (93)، الذين حاولوا، أيضا، أن يعالجوا مشكل الإحالة الزمنية معتمدين في ذلك على هذين النموذجين (نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن)، وكل إحالة لا يمكن أن تخرج عن هذين الإطارين، بل إن كلّ إحالة تستند، في تأويلها على مركزية الذات وسيرورة الزمن، لذلك كانت هناك ضرورة تدعو إلى ضبط هذه المعطيات ضبطًا يُحيلنا مباشرة على فهم الإطار المرجعي المرتكِز على نماذج معرفية ذاتية ونماذج معرفية زمنية.

1.2.1 – الإحالة المبنية على نموذج تحرك الذات.

يرتكز هذا النموذج الإحالي على الذات باعتبارها مركزًا إحاليًّا رئيسيًّا، ونقطة مرجعية في بنائها، لذلك نجد أن النماذج المعرفية التي تختص بهذا نوع من الإحالة تُموقع الذات باعتبارها تؤشر على "الآن" بالنظر إلى الأزمنة الأخرى المتعلقة بالماضي، الحاضر والمستقبل، من حيث ارتباطهم جميعًا بالحيز أو المكان. وهذا ما يجعل تموقع المستقبل يكون أمام الذات، لأنه مبني على أساس وضع التنبؤات الزمنية المفترضة وغير المحققة، أما الحاضر فيتم التأشير عليه كونه نقطة

التقاء بين الذات واللحظة الزمنية بناءً على مبدإ المشاركة التي تجمع بينها. أما الماضي فإنه يتموقع خلف الذات، لأنه يبنى أساسًا على أحداث سبق وقوعها، وينظر إليها كونها عبارة عن تحققات مُخزنة يتم تذكرها من منطلق فرز العديد من الأحداث المؤطرة زمنيا ضمن سياق سبق معايشته. وهذا ما يفسر كوننا عادة ما نفكر ونتحدث عن هذه المفاهيم الزمنية مثل الحاضر والمستقبل والماضي من حيث علاقة الذات بالمواقع والأمكنة المادية المؤطرة داخلها، إذ نعمل على تحديد الإحالة بناء على رؤية الذات المتطلعة نحو الأمام تعيش اللحظة وتنظر إلى ما سيقع مستقبلا بكثير من الافتراض، في حين تكون نظرتها إلى الماضي نظرة تذكرية مخزنة تحت وسيط الحدث. وهو الأمر الذي توضحه الأمثلة التالية:

(8) – **الحاضر**

أ- من وجهة نظري الآنية، يبدو لي وضع المرأة أحسن.

(9) – **المستقبل**

أ- أعربت له عن مستقبل مشرق ينتظر وضعية المرأة.

ب- تنبّأت لهن بمستقبل زاهر.

(10) – **الماضي**

أ- يكمن ماضي المرأة المؤلم وراءها.

تعدّ الذات من المعايير الأساسية التي نستند عليها في بناء الإحالة الزمنية، فإذا أردنا أن نتعرف على الماضي أو المستقبل أو الماضي، وجب أن نطرح السؤال: أين تتموقع هذه الأزمنة بالنظر إلى الذات؟ وكيف لها أن تلتقي عند نقطة مركزية واحدة ؟ فندرك أن البنى (8-9-10) تحيل على أزمنة مختلفة.

يُفسّر الأمر من حيث أن الذات تجعلنا نعي أننا أمام الحاضر في (8) إذا تم الجمع بين الذات واللحظة "الآن"، وبين الحدث على نقطة واحدة، وهي نقطة مرجعية إحالية أسست، بالتأكيد، الحاضر، أما في (9) فإننا نقرأ في المستقبل الكثير

من الفرضيات والتنبؤات التي لن يصح تصديقها أو وقوعها إلا عندما تلتقي عند نقطة مرجعية مشتركة، وهو الأمر الذي يقودنا إلى افتراض وجودها أمام الذات، لأن نقطة الالتقاء المفترضة لم تتحقق بعد بين الذات والحدث والآن (الحاضر) ، في حين نجد أن الماضي في (10) يبدو واضحًا كون الذات تعبر عن حدث الألم كونه يتموقع وراءها، للكشف عن ذلك وجب أن تربط الذات اتصالها بالماضي لكي تُقرّ بذلك؛ أي وجب أن تعود بالذاكرة إلى الوراء لكي تجعل من حدث الألم ماضيًا يتموقع وراءها.

تستند كل هذه الأزمنة المختلفة على الذات باعتبارها تؤسس للعلاقة الجامعة بينها من خلال التأشير على مسوغات تحديدها، هذا التحديد الذي يُقيد الإحالة ويجعلها تشكل حلقة اتصالية تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، بالنظر أيضا إلى أن الذات تتموقع على خط زمني تسلسلي تأخذ مكانًا ضمنه، وبالتالي إمكانية رصدها واعتبارها (الذات)، ثابتة والزمن يتحرك نحوها تم يمضي خلفها.

2.2.1 – الإحالة المبنية على نموذج تحرك الزمن.

إذا كانت الإحالة الأولى مبنية تحديدًا على الذات وتعتبرها مركزًا في بنائها ونقطة مرجعية تستند عليها في تحديد طبيعة الزمن المشار إليه، فإن النموذج المعرفي الثاني الذي تبنى من خلاله الإحالة يركز كل اهتمامه على نقطة إحالية/ مرجعية أخرى هي الزمن، ولتحديد التمايز بينها وجب أن نشير في البداية أن الأمر يتعلق، تحديدًا، بخطوات إجرائية تفصل الإحالة الأولى عن الثانية من حيث الاعتماد على وسيط معرفي متمثل في الحركة. فإذا كانت الإحالة الأولى تنظر إلى الذات بأنها كيان ثابت متميز بالاستقرار، فإن الإحالة الثانية تنظر إلى الأمر من زاوية مخالفة، إذ يتم تحديدها من منطلق أن الزمن ثابت والذات تتحرك عبره. هو الأمر الذي نلمسه من خلال البنى التالية:

(11). **الحاضر**

– احتفلت اليوم بعيد ميلادي.

(12). **المستقبل**

– تقترب السنة من نهايتها.

(13). **الماضي**

– دامت الحرب على غزة واحدًا وعشرين يومًا.

إذا تأملنا هذه البنى، وحاولنا أن نقارنها بالبنى الواردة في (8-9-10)، سنجد تباينًا دلاليًّا واضحًا، ممّا يعكس طبيعة التمايز الذي نرصد من خلاله الاختلاف ، فإذا كانت البنية الواردة في (8) تُقرأ بناءً على الاتصال الحاصل بين الذات واللحظة والحدث في التعبير عن وضعية المرأة ، فإن (11) تعبر عن ذلك بطريقة مختلفة ترصد الذات في وضع يجعل من حدث الاحتفال بعيد الميلاد موعدًا زمنيًّا ثابتًا جاء من المستقبل فاخترق الذات التي احتفلت به تم سيمضي ليلتحق بالماضي، مما يؤشر على أن الإحالة مبنية على نقطة زمنية محددة هي الحاضر. أما في (12) فنجد الأمر نفسه لكن بدواعٍ مختلفة، فحدث نهاية السنة يصادف موعدا زمنيا محددا لا نختلف حوله يتسم بالاستقرار والثبات على الرغم أنه يتموقع بالنظر إلى الذات في الأمام، إلا أنه يتمايز عن (9) كونه محدد وغير خاضع لقانون التنبؤ أو الافتراض، لأن نهاية السنة تصادف تاريخيًّا موعدًا محددًا يتمثل في 31 دجنبر. أما في (13) الأكيد أننا نجد الكثير من المعطيات التي تزكي أن حدث الحرب على غزة دام 21 يومًا، وهي مدة زمنية محددة تاريخيًّا، هذا التحديد هو الذي جعلنا نقرأ الماضي باعتباره لحظة زمنية تتميز بالثبات والاستقرار، بخلاف البنية (10) التي لا نعرف من خلالها المدة التي استغرقها

الألم[18]. تحيلنا هذه المؤشرات إلى استنتاج مُهمّ مفاده أن اللغة العربية تركز كثيرًا على هاتين الطريقتين في بناء نسقها الإحالي استعاريًّا، إذ غالبا ما نتحدث عن الزمن من منطلق هذه الثنائية التي تجمع بين تحرك الذات أو تحرك الزمن، ويرصد هذا التمايز طبيعة المعلومات الزمنية التي يمكن أن نكشف عنها، بل إن هذا التقابل يتيح لنا إمكانية البحث عن طريقة ندمج فيها هذه المعطيات خصوصًا أنهما يركزان إحالتهما على نقطة واحدة ومحددة متمثلة في الذات، هذا الدمج الذي يتيح للغة العربية إمكانات زمنية متنوعة ومختلفة تتواءم مع الغنى الزمني الذي تعرفه، ويرد بشكل مباشر على المشككين في غناها زمنيًّا.

2 – تصنيف النماذج المعرفية.

نخصص هذا الجزء من البحث، أساسًا، لدراسة النظريات التي تم اقتراحها لمعالجة مشكل تصنيف النماذج المعرفية المرتبطة بالزمن في اللغة العربية تحديدًا، إذ ينبني مشروع هذه النظريات في تحليل النظم اللغوية والكشف عن العمليات المعرفية اللازمة لإنتاج وفهم التعابير الزمنية. لذلك يظل الغرض الأساس من هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن تساؤل يتعلق بالكيفية التي

(18) أورد "لايكوف" (93)، (النظرية المعاصرة للاستعارة) مجموعة من الحالات الخاصة التي أثبت فيها نوعين من الاقتضاء:

- ✓ اقتضاء يقول بأن الذات ثابتة والأزمنة كيانات تتحرك بالنظر إليها، فتوجه الأزمنة في اتجاه الحركة.فتتولد عنها النتيجة التالية :

(إذا تبع الزمن الثاني الزمن الأول كان الزمن الثاني إذاً بمثابة المستقبل بالنسبة للزمن الأول. والزمن الذي يخترقه الملاحظ هو الزمن الحاضر).

– سيأتي الوقت الذي ستعرف فيه الحقيقة.

- ✓ واقتضاء يقول بأن الأزمنة مواقع ثابتة والذات تتحرك في علاقته بالزمن، الشيء الذي تتولد عنه النتيجة التالية:

(للزمن امتداد يمكن قياسه، بحيث يمكن تصور الزمن كيانًا ممتدًّا شأنه في ذلك شأن المكان الفضائي).

– مكث في الغربة لمدة طويلة.

تُمكننا من تصنيف البنى الزمنية داخل اللغة العربية، والحدود المعرفية التي تساهم في ذلك.

إن اللغة العربية كبقية لغات العالم، تملك نسقًا زمنيًّا خاصًّا بها، وتُكيّف بناها وفق المساحة الإدراكية التي توفرها لمستعمليها، من منطلق أن الزمن لا يعيش منعزلًا عن باقي النماذج المعرفية الأخرى التي تؤثث الفضاء والمكان والحيز ... داخلها، وإنما يدخل معها في علاقات متشابكة مما يجعله ذا قابلية لكي يُوزّع ويُصنّف وفق نوع وطبيعة التشابك، الشيء الذي يدفعنا نحو مسايرة افتراض وجود نماذج معرفية للزمن في العربية: نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن[19] المؤسسان على تلك الخلاصات التي تمدنا بها دراسة الأبعاد والإحالة، مع إمكانية تقديم نموذج معرفي ثالث محدد في نموذج التسلسل الزمني الذي قدم في "ايفانز" (2006).

توضيحًا للأمر سنسوق بعض العبارات التي غالبًا ما يستخدمها الناس بشكل مستمر: (يمرّ الوقت)، (يتدفق الوقت) ... ونظرا إلى هذه السيرورة الشائعة في تصنيف الزمن من حيث الانتقال من الماضي عبر الحاضر وصولًا إلى المستقبل، ندرك أنها ليست الطريقة النمطية الوحيدة التي يتحرك من خلالها الزمن، إذ إن كل شيء يتحرك في العالم وفق سرعة واتجاه محددين، ومع ذلك يمكن أن نتصور وجود خلفية معينة تتيح لنا ملاحظة التغيرات المكانية الناجمة عن حركة الجسم (الذات)، اعتبارًا أن هذه الناحية المثالية تتأسس على وجود خلفية ثابتة نستند عليها في تحديد السرعة والاتجاه، لكن يجب أن نشير إلى إمكانية وجود تعابير تمنح شرعية الحدث وفق سرعة مختلفة، كما هو الحال في البنى التالية:

(19) هذان النموذجان قد تم تناولها من طرف الكثير من الباحثين "سمارث" (49) (Smart)، "فيلمور" (71) (Fillmore) ،"كلارك" (73) (Clark) ، "لايكوف (93) (Lakoff).

(14) – نحاول اللحاق بالزمن.

إذ نتصور أنفسنا كما ولو أننا في سابق مع الزمن لإنهاء واجباتنا، أو نتصور ذواتنا في صراع مع الزمن نُسخر كلّ إمكاناتنا وطاقتنا من أجل التغلب عليه. هي أشياء أو معطيات تمنحنا إمكانية النظر في كلّ الطروحات التي تساهم في بناء نسق زمني محدد مبني على أسس إحالية ثابتة ومستقرة.

فقد لاحظ الكثير من الباحثين أن النسق الزمني يمكن أن يؤسس، من حيث الاستعمال، على نموذجين تصوريين: نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن (لايكوف 93)، إذ الزمن يتحرك من منطلق علاقته بالذات التي تُعبّر عن نقطة مرجعية في الكشف عن الحركة والإحالة[20]. أما النموذج الثاني يؤسس تصوره على مرور الزمن من منطلق مقياس الحركة التي تحدد إمكانية التدقيق في الإحالة زمنيًّا، اعتبارًا أن التمايز بين النموذجين يمكن أن يستخلص من خلال لُبس الحكم على البنية التالية:

(15) – تقدم الاجتماع بيومين.

إذا فكرنا أو تصورنا أن الوقت يتجه نحونا أو أنه يتقدم نحو المستقبل، فإننا ندرك أن الجملة (15) يجب أن تُترجم بعناية فائقة ، المعنى الزمني الذي نشير إليه؛ أي أن الاجتماع سيجري في وقت سابق عن الوقت المحدد سلفًا، أو أنه سيجري في وقت ما مَبنيّ على موعد ثابت أصلا، فالذي جعل الجملة (15) ملتبسة من حيث الإحالة المبنية على تحرك الذات أو الزمن هو ارتكازها المحوري على فعل غير إشاري " تقدم"، على الرغم من إمكانية وروده إشاريًّا في بعض البنى من قبيل:

(20) لايكوف (93). **النظرية المعاصرة للاستعارة** ، ص ،120

(16) – أ – يقترب العام الجديد (تحرك الزمن: يقترب = المستقبل)

ب – السنة قد ولّت (تحريك الزمن : الذات = الماضي)

ج – سأعمله (تحرك الذات : العمل = المستقبل)

د – قادم من العمل (تحرك الذات : قادم = الماضي)

الملاحظة الأساس التي تفرزها معطيات البنى الواردة في (16) هي أن نموذج تحرك الذات يختلف أو يتمايز عن نموذج تحرك الزمن. ويتمظهر ذلك من خلال محاولة تحديد الإحالة في (16 أ و ب) التي تشير أن الزمن يأتي من المستقبل (16أ) ويدخل في الماضي (16ب)، الشيء الذي يعكس أن النسق الزمني قد استند على تحرك الزمن في تحديد القرب والدخول في الماضي، أما في (16.ج و د) نجد أن التأويل مبنيّ على تحرك الذات التي تدخل في المستقبل في (16ج)، وقادمة من الماضي (16د)، الأمر الذي يفسر أن الإحالة قد تم تحديدها بناءً على تمركز الذات، مما يعطينا عادة المعنى الذي نشير من خلاله إلى الزمن المرتكز على نقطة مرجعية واحدة (الذات)، هذا الوضع المتمايز هو الذي يقود نحو تشكيل رؤية تعتمد نسقًا تسلسليًّا يحترم خصوصية اللغة العربية ويحترم نسقها الزمني، فالتحول الإحالي ليس له أثر إلا من منطلق الرصد الدقيق لمسوغات تحرك الذات أو الزمن، وهو تحول بنيوي يفسر منهجية التأويل الواجب توفرها لتحقيق تطابق بين الآليات التركيبية والدلالية مع الإحالة الزمنية، والكشف أيضا عن الماهيات التصورية الكامنة وراء الأحكام الصادرة لمقولة التخصيصات الدلالية ضمن لوائح معجمية محددة. وهو الافتراض الذي سنعمل على تطويره من منطلق الاعتماد على هذين النموذجين المعرفيين: نموذج تحرك الزمن ونموذج تحرك الذات.

1.2 – نموذج تحرك الزمن.

يبدو أن نموذج تحرك الزمن وفق نظامنا وثقافيًّا يؤشر على مسألة تدفق الزمن من منطلق أن الأنظمة اللغوية ومعطيات ثقافتنا الشعبية يؤكدان أنه يتدفق صوب اتجاه محدد، ينتقل من الماضي ويمرّ عبر الحاضر ليحط رحاله في المستقبل.

هذه الوجهة هي التي تُعكس بشكل جلي على تعابيرنا ونظامنا اللغويّ، لكننا نتفاجأ عندما ندرك أن هذا النموذج هو طريقة للتعبير عن حالات من قبيل (16 أ) و(16 ب)، فالزمن لا يتم التعبير عنه وفق مسار يربط الصلة بين الماضي والمستقبل عبر الحاضر، بل إن الأمر يتم بصورة عكسية تمامًا؛ أي ننتقل من المستقبل نحو الماضي عبر الحاضر، وبهذا نُسجل أول ملاحظة هي أن نموذج تحرك الزمن يتعارض مع الاعتقاد الشعبي الراسخ الذي نمتلكه جميعًا الذي يتمظهر في أن الوقت/ الزمن يتدفق نحونا من الماضي[21].

يشمل نموذج تحرك الزمن دمج التصورات المعجمية التالية: الحاضر والمستقبل والماضي مع تلك التصورات التي تحيل على معنى المدة (الموزعة بين "الضغط الزمني "وإطالة المدة") ومصفوفة الزمن وزمن اللحظة ثم معنى الحدث. الشيء الذي يقود نحو طرح جوهريّ يتمظهر في الكيفية التي تندمج فيها كل هذه التصورات أو المفاهيم المعجمية بعضها مع بعض؟ وكيف تتآلف لتأسيس نموذج معرفي مبني على تحرك الزمن؟

من الاقتراحات الدالة على رصد تحرك الزمن، نرصد ما قدمه "ايفانز" (2006) الذي ينطلق من افتراض وجود بنيات محورية تعمل على دمج هذه التصورات أو المفاهيم من خلال خلق بنيات أخرى ثابتة تسمح لنا بوصف العلاقات الزمنية التي تؤسسها، وبناء على ذلك نتأمل الشكل التالي:

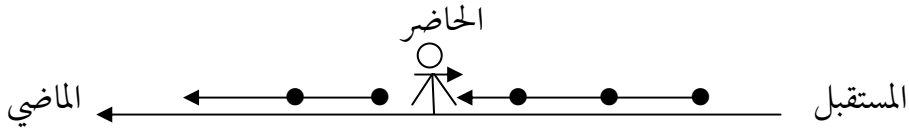

الشكل 4: نموذج تحرك الزمن في العربية

(21) Radden, Günter. (2003). ***The Metaphor TIME AS SPACE across Languages***. P.232.

إذا كان التصور الاعتيادي للزمن الذي يُنظر إليه من زاوية التدفق السُّلّمي يقدم النسق الزمني على خط اتجاهي ينطلق من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر، فإن هذه التصورات التقليدية لم تكن تقدم طرحًا عامًّا يفسر التعالق الذي ينسجم مع النسق التسلسلي للزمن، الشيء الذي جعل التعامل معه يشكو بعض النقص من حيت التحليل العلمي، وخصوصًا على مستوى الربط بين هذه التصورات وتأويلها. الأمر الذي يتناقض مع المعطيات المقدمة في الشكل (4)، الذي يؤشر على أن الزمن يتحرك من المستقبل نحو الماضي مرورًا بالحاضر (الذات)، اعتبارًا أن هذا النموذج قائم على أساس مركزية الذات، الشيء الذي يعني أنها ترتبط بتجربة "الحاضر" ممّا يجعلها تُؤول كنقطة مرجعية لتحديد زمن "تموقع" باقي المفاهيم الزمنية الأخرى. إضافة إلى إمكانية وجود نمط معالجة ثانٍ يتعلق بالدمج الضمني بين كل التصورات التي تختص بالحدث واللحظة ثم مصفوفة الزمن، الشيء الذي يثير مسألة تموقع المستقبل أمام الذات مع وجود حركة زمنية موجهة نحوها قبل أن تمرّ لتتموقع خلفها.

يؤشر لنا السهم الصغير الموضوع على وجه الإنسان والمعلق على الرأس في الشكل (4) اتجاه الحركة الزمنية في علاقتها بخط الانطلاق، اتجاه الحركة هنا يعادل اتجاه السهم المنطلق من المستقبل والمتجه صوب الماضي، ممّا يعكس تلك العلائق التصورية التي تنسجم مع متطلبات المصفوفة الزمنية التي تتشكل من زمن الأحداث واللحظات المؤشر عليهما من خلال الدوائر السوداء الصغيرة، إذ تعتبر جزءًا لا يتجزأ من الأنساق التي تنتظمها لكونها تدخل ضمن سيرورة الحركة، بالإضافة إلى أن تفريع معنى المدة على "الضغط الزمني" و"إطالة المدة" يجعلهما يندمجان ضمن هذا النموذج، وتبعًا لذلك، فإن سرعة الحركة أو بطأها تكون نتيجة استشعار الذات "لضغط زمني" يُقرأ من زاوية تموقعها خلف الذات؛ أي من خلال تفكيك المكونات التصورية المخزنة على مستوى الدماغ وتحويلها إلى أوليات (Primitive) ومبادئ تشكل حصيلة الذات في إدراكها للنسق الزمني. فالوقت يمرّ نتيجة الصراع الداخلي الذي تستشعره الذات،

فالمعلمون والأساتذة يعيشون الضغط الزمني بصورة تختلف عن الصورة التي يعيشه بها أصحاب المحلات التجارية وأرباب العمل وأصحاب الأجور المنخفضة الذين يشتغلون بالساعة، وتختلف النساء عن الرجال من هذه الناحية وسكان المدن الكبرى عن سكان القرى والأرياف[22]. الشيء الذي يؤدي إلى إمكانية تصور أن الوقت قد مرّ بطريقة سريعة وغير طبيعية.

وعلى العكس من ذلك، فإن الحركة البطيئة لمصفوفة الزمن (أو للحظات أو الأحداث الزمنية) تكون نتيجة تموقع الذات في الحاضر، الأمر الذي يقود نحو تصور أن الوقت يمر ببطء، بل يكاد يكون ثابتا. وبعبارة أخرى، فإن هذا الاستنتاج لا يمكن أن نرجئه إلى تصور مرجعي معين، بل ينبثق من خلال النتائج التي تمدنا بها مختلف التصورات المعجمية وأنماطها التي يتم دمجها داخل نموذج تحرك الزمن. وبناء عليه، فلا يمكن أن ننسى أن هذا التحديد الزمني يعتبر وسيلة لتصور التجارب الذاتية مع الزمن، لأنه مهما يكن، فإننا لا يمكن أن نتصور أن الزمن يقوم بالتنقل حرفيًّا، ومع ذلك، فإن كلا من الفلاسفة والعلماء قد اتخذوا في كثير من الأحيان هذا النموذج المعرفي (نموذج تحرك الزمن) باعتباره واقعًا ماديًّا لفهم الزمن،. فنيوتن مثلا تحدث عن الزمن المطلق الذي بناه من منطلق الاستنتاجات التي توصل إليها من مرجعية ثبات واستقرار الحركة المرتبطة بالزمن، الشيء الذي قاده إلى اعتبار الزمن المطلق أمرًا بدهيًّا ومركزيًّا في نظريته حول الميكانيكا (ايفانز 2004).

نقدم الآن ، إجمالا، بعض الأنماط المعرفية التي تندرج ضمن هذا النموذج ومقتضياته التي تشمل كلًّا من الأحداث واللحظات الزمنية المساهمة في بلورة سيرورة المضي أو مرور الزمن:

(22) كريستوف بوميان (2009)، **نظام الزمان**، ص، 473

(17) – أ – حركة مصفوفة الزمن الماضية ← الوعي بمرور الوقت

ب – سرعة الحركة واللحظات الماضية ← الضغط الزمني

ج – بطء الحركة واللحظات الماضية ← الامتداد (المدة)

د – استقرار حركة الأحداث الماضية ← تجربة المدة العادية

هـ – أحداث أمام الذات ← المستقبل

م – أحداث مستقرة بمشاركة الذات ← الحاضر

ق – أحداث خلف الذات ← الماضي

ر – الحدث الذي يقترب من الذات ← الوقوع الوشيك للحدث

ز – وصول الحدث من الذات ← وقوع الحدث.

تبنى هذه النماذج تحديدًا على مسألة مرور الوقت أو بالتحديد نقول إنها تتحدد من منطلق تحرك الزمن، فقراءة الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل تخضع في تأويلها لمركزية الذات وتموقعها ضمن المصفوفة الزمنية التي تعمل على دمج كل المفاهيم أو التصورات التي تم ذكرها (اللحظة، الحدث، المدة...) لتُتاح لنا إمكانية تحديدها من منطلق ما تقدمه اللغة العربية من أنساق لغوية نؤول من خلالها التراكيب وبلورتها والكشف عن خباياها. فإذا كانت جميع لغات العالم تتخذ نسقًا معرفيًّا خاصًّا بها في التعبير عن نسقها الزمني، فاللغة العربية لا تشكل الاستثناء ولا تخرق القاعدة لأنها تدرك مند زمن أن التصورات الزمنية من قبيل (اللحظة والحدث والمدة....) تشكل نسقًا معرفيًّا مدركًا يتم التعبير عنه بقوالب زمنية وإحالية واضحة[23].

(23) تباينت المقاربات الموضحة لذلك بين النحاة القدامى وبين اللسانين المحدثين، إذ تم اعتبار الزمن بمثابة جزء لا يتجزأ من الفعل، بل يعد مسوغًا من مسوغات لبناته، ومن تم نشتق باقي العمليات التصورية الأخرى في التعبير عن اللحظات والأحداث.

يعمل نموذج تحرك الزمن على تفسير الطريقة التي تمعجم بها اللغة العربية بعض التصورات الزمنية الأخرى التي ترتبط بعيد الميلاد، والتخرج، والأعياد الوطنية والدولية...إذ تتم معجمتها من منطلق أنها أحداث تتموقع أمام الذات (المستقبل)، بينما يتم إخضاع التصورات الأخرى إلى ما هو ثقافي (يقترب / يتدفق...)[24] لأنها لا تتعلق مباشرة بالتجارب الزمنية الأساسية، لذا فإن هذه التعابير يمكن أن تدمج مباشرة داخل نموذج تحرك الزمن كما هو واضح من خلال البنى التالية:

(18) – أ – أصبح عيد الميلاد وشيكًا.

ب – اقترب موعد التخرّج.

يمكن أن نفسّر البنية الواردة في (18أ) بالنموذج المقدم في (17ر) لأنه مبني تحديدًا على حدث "الاقتراب" الذي يجعل من عيد الميلاد وشيك الوصول، إلا أن هذا الوصول لا يمكن أن نتصور حدوثه بشكل عملي، بل الأمر مُعلق على إمكانية دمج الحدث داخل مصفوفة الزمن مستقبليًّا الشيء الذي يجعلنا نفسر البنية (18ب) بالنموذج المقدم في(17ر) أيضًا. فهذه التصورات يمكن أن تكون متكاملة إذ تم اشتقاقها من نموذج تحرك الزمن.

يقوم تصورنا المعرفي للزمن، من حيث ارتكازه على نقطة إحالية، على أساس تحريك الزمن الذي يتوافق مع تلك الإحالة التي تعمل على دمج كل تلك المفاهيم السابقة ومحاولة تنظيمها وفق مسار زمني محكم، لذلك فنحن ملزمون أن نسوق الآن مجموعة من الخصائص التي تميز نموذج تحرك الزمن معرفيًّا:

(24) يتحدد البعد الثقافي للزمن في طبيعة التصورات التي نرفقها مع تلك المفاهيم التي تحيل على الزمن، فإذا كان موعد التخرج زمنًا محددًا من قبل، فإننا نرصد دنوه منا بأفعال ثقافية توسم بالقرب أو البعد، فيتحول كل ما هو تصوري إلى نسق زمني محوسب.

- يتيح لنا النموذج (تحرك الزمن) فرصة تحريك الزمن وإيصاله بمواقع إحالية ثابتة وساكنة من منطلق أن الإنسان هو الكائن الذي يؤسس لهذه الإحالة في ارتباطه بالزمن والأحداث التي وقعت أو التي ستقع، ويبدو أن هذه المركزية هي التي دفعت بهذا النموذج نحو اعتبار الذات (الإنسان) نفسه في مركز العناية والاهتمام في هذا العالم.
- يتيح لنا نموذج تحرك الزمن وضع تصورات من منطلق تجاربنا الخاصة بناءً على وسيط [الزمن المتغير]: ونقصد بذلك تلك التغيرات التي تقع في المستقبل وفي الحاضر وفي الماضي.
- يمنحنا نموذج تحرك الزمن وجودًا مستقلًا عن الزمن في حد ذاته، لأن وحدات قياس الزمن أصبحت بالنسبة إلى بعض مواقع إشارية كما هو الحال في التعابير اليومية التي نوظفها من قبيل (في الأسبوع التالي)، (في وقت لاحق من هذا الأسبوع)...[25]

يمكن أن نمعجم لذلك بأفعال من قبيل: (يأتي، يتبع، يطير، يمر، يحل ....)

- سيأتي الوقت المناسب للهجوم.
- مرّ وقت طويل على لقائنا الأول.
- يطير الوقت بسرعة فائقة.

قد تصل بنا هذه الخلاصات إلى اعتبار أن مصدر التحرك في هذا النموذج مرتبط أشد الارتباط بالعالم المادي على الرغم من كونها قد نوقشت مع قانون نيوتن للحركة، الذي نصّ على وجود خط مستقيم موحد تنتظم من خلاله الحركة ويتم التغيير بناءً على حالة القوة، لكن ما يبدو عجيبًا أنه لا توجد أي قوة

(25) Evans, V. (2004). ***The Structure of Time***: Language, Meaning and Temporal Cognition. Amsterdam, p 751.

يمكنها أن تغير من المتواليات الزمنية، لأنها تمنحنا سيرورة ندرك من خلالها أننا نقف على مسار انتقالي لا يتغير إلى الأبد، وتبقى الذات هي المساهم الوحيد في تشكيل هذا السيناريو باحتلالها موقعًا ضمن الخط الزمني واكتفائها بمراقبة مروره دون أن تتمكن من تغير مساره، لذلك فإن هذا النموذج يفسح المجال لمفهوم الزمن لكي يتطور بناء على سيرورة الأحداث.

2.2 – نموذج تحرك الذات.

تقوم الذات، في هذا النموذج، بربط الصلة بين الماضي والحاضر، وصولا فيما بعد إلى المستقبل، الشيء الذي يؤكد أن الزمن يأتي كمجال مرجعي ثابت مبني على إحالة مستقرة، ويصادف ورود نموذج تحرك الذات العبارات التالية:

(19) – أ – نحن نقترب من العصر الذهبي.

ب – لقد تركنا أسوأ الأيام وراءنا .

يُفسر نموذج تحرك الذات المُقدم في البنية (19) موقع الذات ضمن خارطة زمنية تتسم بتحديد النسق الزمني عام دون التركيز على نقطة مرجعية ثابتة. ف (19أ) تؤول على أن الذات تتنبأ باقتراب العصر الذهبي (التطور) دون أن تعطينا نقطة مرجعية ثابتة لهذا التطور، أما في (19ب) فالأمر مماثل لأن الحديث عن الأسوأ قد تم موقعته وراء الذات؛ أي في الماضي، ولكن نحن لا نعلم إن كان هذا الأسوأ قد دام فترة أو لحظة أو مدة.

من هذا المنطلق وجب أن نشير إلى معطى مهم لكي نفهم ونرصد حدود التمايز بين نموذج تحرك الذات ونموذج تحرك الزمن، فالأول يشتغل على تحديد زمني يلخص في "مجال" ثابت، أما الثاني فإنه يؤول على أساس نقطة مرجعية ثابتة ومحددة. بعبارة أخرى، فإن نموذج تحرك الذات يعطي تفسيرًا زمنيًّا مبنيًّا على مجال زمني ثابت (الماضي، الحاضر، المستقبل). أما نموذج تحرك الزمن فإنه

يمنحنا تأويلًا زمنيًّا مؤسسًا على نقطة إحالية ومرجعية ثابتة (عيد الميلاد، عيد الاستقلال، عيد الأم ...)

إن هذه الاعتبارات التي تفسر كيفية اشتغال نموذج تحرك الذات تجعلنا أمام سيرورة زمنية تخضع، بالضرورة، لنظرة زمنية مختلفة عن نموذج تحرك الزمن، بمعنى أدق، فإن موقعة الحاضر والماضي والمستقبل بالنظر إلى الذات ستكون مخالفة لما كان عليه الحال في النموذج الأول، ولتوضيح ذلك ننظر في الشكل التالي:

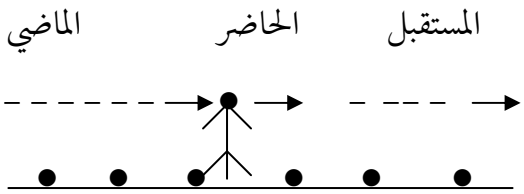

شكل (5) : نموذج تحرك الذات في العربية.

يمنحنا الشكل (5) فرصة كبيرة للحديث عن الحاضر ما دام أنه كان شبه مغيب في تأويل النموذج الأول، أما الماضي فإنه يتموقع خلف الذات (أي أنه يؤشر على أحداث تاريخية مؤسسة على الذاكرة الزمنية)، أما المستقبل فإنه يتموقع أمام الذات (أي أنه يؤشر على أحداث متنبأ بحدوثها مبنية على الحدس الزمني) الشيء الذي يعطى الانطباع أن الذات هي التي تتحرك في هذا النموذج وليس الزمن، إذ تتخذ مسارًا زمنيًّا معينًا تتحرك من خلاله، تعيش الحاضر وتقيس من خلاله الماضي وتتهيأ أن تعيش المستقبل.

يمنحنا هذا التحرك فرصة التأشير إلى أن الذات تعدّ نقطة مرجعية أساسية في بناء الإحالة الزمنية التي تتأرجح عبر حركة مؤشر عليها باتجاه الأسهم، أما الخط الأسود فإنه يؤشر على الخط الزمني الذي تقف عليه الذات، أما الأحداث فمؤشَّر عليها بالدوائر السوداء التي تتموقع على الخط الزمني وتشكل أماكن تحرك الذات.

إن كل التصورات المعجمية التي سبق الحديث عنها تُعدّ في هذا النموذج، متكاملة، وهي شبيهة بتلك التي تم اقتراحها في نموذج تحرك الزمن، إلا أن حدود التمايز بينها تتجسد في أن نموذج تحرك الزمن يعرض التفاصيل التي تتعلق بحركة التصورات الزمنية التي تخضع لسمة أساسية هي "الدمج"؛ بمعنى آخر أن هذا النموذج يتعلق بأنماط المحتوى غير الحركي (أي فراغ العلاقات) التي يتم دمجها في نموذج تحرك الذات، ولكي نوضح هذا الأمر جيدًا ننظر في سياق الأمثلة التالية:

(20) – أ – اقترب موعد تسلمي العمل.

ب – أوشكت على توديع سنوات الفقر.

إن المتأمل في البنية (20) سيجد أن تأويلها الزمني مختلف من منطلق أن موعد الحصول على العمل في (20أ) قد تم إحالته على نقطة مرجعية ثابتة تتجسد في تاريخ محدد لذلك. أما في (20ب) فإن الأمر غير محسوم كون توقع انتهاء سنوات الفقر لم يُحدّد بموعد ثابت، بل تم الارتكاز في ذلك على مؤشر الحصول على عمل. لذلك قد نستخلص أن البنية (20أ) تؤشر على نموذج تحرك الزمن الذي يدمج تلقائيًّا في نموذج تحرك الذات لكونه يجسد المجال الزمني أكثر من تجسده للنقطة الزمنية[26].

إحدى الوسائل التقليدية التي تقود نحو بلورة معنى المصفوفة قد يتعلق بالخط المستقيم الذي تَعبُر عبرَه الأحداث في ارتباطها بالذات، وهو الأمر الذي يوفر جزئيًّا المنظر الزمني الذي يُعد متكاملًا عقب إدماج معنى الحدث ومعنى اللحظة ضمنه، على الرغم أن كليهما موسوم بالانفصال عن الآخر، إذن فهو تصور ينظر إلى الحدث واللحظة باعتبارهما مواقع مجزأة تتموقع كلّها على خط زمني واحد، إلا أن دمجها لا يتم إلا في إطار الحديث عن المدة أو الفترة؛ أي

(26) تتحدد **النقطة الزمنية** من خلال المؤشرات التالية (الساعة، اليوم، السنة، الأسبوع....).
يتحدد **المجال الزمني** من خلال المؤشرات مُعبّر عنها ب (المدة، الفترة، السنوات، الأسابيع.....).

عندما نبدأ في الحديث عن "الطول" الذي يتسبب في خلق مسافة بين الأحداث المتصورة كطول المدة، اللحظة والفترة... الشيء الذي يعطي إمكانية قياس الخط الزمني بناءً على مؤشرات اللحظة أو الحدث في ارتباطهما، أكيد، بالطول أو القصر. وهو الأمر الذي نوضحه من خلال البنية التالية:

(21) – اقترب الفريق من إجراء ثلاث مقابلات في غضون عشرة أيام.

بتأملنا لهذه البنية، قد نعمل على إعطاء تأويل زمني يجعلنا نتصور المقابلات الثلاثة بمثابة أماكن احتوت أوعية لمدة عشرة أيام، أو بمعنى أدق، نتصور أن هذه المقابلات عبارة عن أحداث مجزأة أو مقسمة على مدة زمنية لا تتجاوز عشرة أيام.

وفقًا لهذه المعطيات، وبناءً على مبدإ الدمج الزمنيّ والطريقة التي تمّ اتباعها في ذلك قد نحصل على العديد من الاستنتاجات التي يتم اشتقاقها مباشرة من نموذج تحرك الذات نفسه، وهي الاستنتاجات التي نعرض لها من خلال الأمكنة التالية:

(22) – أ – حركة الذات عبر الخط الزمني ← الوعي بمرور الزمن.

ب – المواقع والأماكن ← الأحداث (أو اللحظات الزمنية المرتبطة بالأحداث).

ج – المسافة بين الأحداث ← حجم المدة.

د – الخط الزمني أمام الذات ← المستقبل.

هـ – الخط الزمني خلف الذات ← الماضي.

م – الخط من حيث القرب ← الحاضر

ر – اقتراب الذات من المكان ← الوقوع الوشيك للحدث.

ق – وصول الذات للمكان ← وقوع الحدث.

س – حركة الذات بعد المكان ← وقوع حدث ماضي / سابق.

إن الحديث عن كل هذه التصورات يجعلها تشتغل كوسائط نعمل من خلالها على تحديد اللحظات والأحداث المتعلقة بتجاربنا، فيوفّر هذا التعالق مرجعًا زمنيًّا غنيًّا للغة العربية يتجاوز حدود الأزمنة التقليدية المعروفة، بل يتجاوزها ويعطي الدليل أنها تملك مؤشرات زمنية غنية تضاهي من خلالها اللغات الأخرى، إن لم نقل أنها تتفوق عليها في بعض الأحيان. وهي الأمور التي نقف عندها من خلال الأمثلة التالية:

(23) – أ – نحن نقترب من الفترة المفضلة من الحياة.

ب – إنهم قد تجاوزوا المهلة المخصصة لهم.

ج – يتعين علينا أن ننتظر إجابة في الأسابيع المقبلة.

د – قد تتمدد الاجتماعات على فترات تصل إلى أكثر من شهر.

إذا كانت البنى الواردة في (23) تشير إلى أنماط مختلفة من الزمن، فإن تحديدها المعرفيّ يرصد من خلال رسم خط زمنيّ مؤسس على "المجال" ؛ بمعنى أن هناك دوافع معرفية تجعلنا نُقرّ بالخلاصات التالية:

– يتيح لنا نموذج تحرك الذات النظر في اتساق الزمن مع تلك المسلمات التي ترتبط بعملية تدفق الوقت (23أ). اعتبارًا أن الذات في هذا النموذج تعدّ جزءًا من هذا العالم الذي يتحرك في اتجاه اليمين (من الماضي نحو المستقبل).

– يسمح لنا نموذج تحرك الذات وضع تصورات حول الزمن بناءً على عمليات التخطيط الزمني المؤسسة على تجربتنا الحس–حركية مع العالم تصوريًّا (23ب).

– يسمح لنا نموذج تحرك الذات أيضًا ربط التصورات التي تتصل بالزمن بتصورات أخرى مهمة، ولا سيما تلك التصورات التي ترتبط بهدف توجيه الأنشطة (23ج).

- يستند نموذج تحرك الذات على التحركات التقليدية عندما يقرر الناس مثلا الانتقال من مكان ما فإنهم عادة ما يفعلون ذلك بناءً عن مقصدية وهدف محددين، بمعنى أخر، لماذا نختار التحرك في زمن دون باقي الأزمنة الأخرى، لذلك فإن البنى الواردة في (24) تعبّر كلها عن هدف موجه موجود في المستقبل، وقد يكون التحرك نحوه مبنيًّا على ظروف محددة ترصد من خلال التنبؤ بوقوع الحدث في المستقبل سواء أتعلق الأمر باقتراب الفترة المفضلة من الحياة (الشباب)، أو المهلة المخصصة للانتظار، أو حتى انتظار الجواب المتوقع في غضون الأسابيع القادمة...

من الأرجح أن هذا النموذج المعرفي يمعجم بأفعال من قبيل: (اقترب ، أوشك ، يتعين ، تمتد، وصل .....)

- اقترب عيد ميلادك.
- وصل الوقت المحدد لسحب القرعة .
- مكث في باريس عشرين سنة.

3.2 – نموذج التسلسل الزمني.

يكمل هذا النموذج تلك التصورات المعجمية المرتبطة بالزمن التي غالبًا ما نتصورها كوحدات زمنية منفصلة ونعبر عنها باللحظة أو الحدث، ذلك أن الهدف من وراء إدراج هذا النموذج هو البحث في تلك التحالفات الزمنية التي تُبنى على الأحداث واللحظات في ارتباطها بالمصفوفة الزمنية التي تم التعبير عنها في شكل (4) بالخط المستقيم الذي تقع عليه الأحداث، علاوة على ذلك، فإن هذا النموذج لا يستلزم تكامل الحاضر والماضي والمستقبل، بل إنها تؤسس لإطار مرجعي مَبني على التعالق التعاقبي للذات مع الأحداث واللحظات.

نحن نتصور عادة أن الزمن يتخذ شكل وحدات متسلسلة من الأيام والسنوات، هذا التسلسل الذي يقابله استعاريًّا التسلسل المكانيّ، الشيء الذي ينعكس منطقيًّا على طرق التفكير في النسق الزمنيّ المُعبّر عنها من زاوية نتصور من خلالها وجود ذات تتماهى بين التسلسل الزمني والتسلسل المكاني[27]. لكن إذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه يتمظهر في الكيفية التي يستلزم فيها حدثٌ زمني حدثًا زمنيًّا آخر داخل نسق زمني عام ومتكامل؟

إن السّمة المميزة لهذا النموذج تتمظهر في أن كل الأحداث الزمنية تبدو مختلفة، إذ يتم تصورها من منطلق مرور الحركة التي تؤشر على مرور مدة أو لحظة أو فترة زمنية معينة، لذا فإن التسلسل الزمني يستلزم الأحداث أو اللحظات التي يُعبّر عنها وفق نسق آخر مرتبط بالتسلسل المكاني، لذلك فإنها تكون أحادية الاتجاه (ايفانز 2004)[28] فالحركة والحدث الزمنيان هما الجانبان الوحيدان اللذان تستطيع من خلالهما الكائنات أن تبني سيرورة موحدة تعاقبيًّا، وهو الأمر الذي ندركه من خلال الشكل التالي:

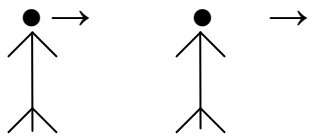

شكل (6): تعاقب حدث الحركة مع حدث زمن.

فأهم ملاحظة يمكن أن نسجلها على هذا النموذج أنه يغيب الحديث عن الذات لأن تموقعها سواء في الحاضر أو الماضي أو المستقبل أمر لا يهمنا، بل إن الجانب الأساسي لهذا النموذج هو التطرق إلى الوضع النسبي الذي يتم التأشير

(27) G. Radden (2003), ***The Metaphor TIME AS SPACE*** across Languages., p.230.
(28) انظر أيضا عمل ايفانز، (2004).

عليه باللحظة أو الحدث في وقت محدد، إلى جانب أن التسلسل الزمني يتحدد بناءً على التراتبية المتعاقبة للنموذج بأكمله، ولا يرتبط بأي تصور من التصورات المعجمية التي سبق التطرق لها في النموذجين السابقين.

يحدد هذان العاملان سمات التمايز بين نموذج التسلسل الزمنيّ والنموذجين السابقين؛ أي أن تغيب الذات إلى جانب عدم التركيز على التصورات المعجمية هو أمر أفرز حدودًا معرفية فاصلة بينهم، بل جعل كل نموذج يشتغل على مجال زمني خاص به وفق ما تقدمه معطياته التحليلية زمنيًّا، فإذا كان نموذجا تحرك الذات وتحرك الزمن يرتكزان في بناء تحليلهما على موقعة الذات أو الزمن بناء على وسيط [± ثابت]، فإن نموذج التسلسل الزمنيّ يبنى ذلك وفق [± التعاقب] الحدث واللحظة في علاقتهما الجدلية مع الحركة والزمن، الأمر الذي نحدده من خلال الشكل التالي :

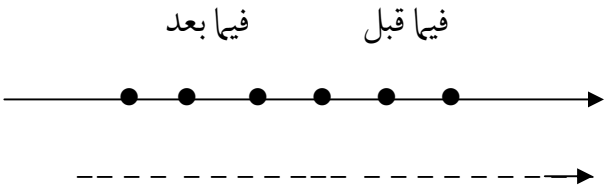

شكل (7): نموذج التسلسل الزمني

يؤشر هذا الشكل على نموذج التسلسل الزمني الذي تمثل الدوائر فيه أنواعًا مختلفة من الأحداث الزمنية، مع العلم أن هذه الأحداث غير مسؤولة عن تحديد الحدث أو اللحظة ضمنها، بل يتم التعامل معها كأنها أحداث مطلقة. وعلى نحو آخر، تتصرف هذه الأحداث في شكل صورة مماثلة لأيام الأسبوع أو لأشهر السنة أو شبيهة بالإجازات الموسمية، مثل جدول العطل السنوية، بينما من يجب أن نعمل على الفصل بين هذه الأحداث المرتبطة بالحركة عن تلك التي

يتم معالجتها ضمن حركة الأحداث المرتبطة بتمركز الذات، فكما نعلم أن الذات ضمن هذا النموذج غير مهمة بالنظر إلى زاوية الزمنية التي نحلل من خلالها النموذج.

ولاستكمال الحديث عن هذا الأمر وجب التطرق إلى الأحداث التي يتم ترتيبها بالتعاون (شكل5)، إذ يفرض هذا التعاون على الأحداث الزمنية المختلفة أن تتناسق ضمن توجه موحد مُشار إليه بالسهم في شكل (5) وشكل (6)، لذلك، فإن طريقة تصور هذه الأحداث، خصوصًا فيما يتعلق بتسلسلها، يتسبب في تقييم العلاقة الزمنية بعد/ قبل في ارتباطهما بالأحداث.

يقودنا الدليل على هذا القول إلى الحديث عن الأفعال التي تسبق أو تتبع حروف الجر قبل وبعد المتوافقة مع هذا النموذج، إلا أن هذه التصورات المعجمية لا تُستخدم باعتبارها تصورات فردية، بل يتم النظر إليها في صورتها التكاملية مع باقي المكونات الأخرى، في حين أن أفعال الحركة مثل: يقترب، يصل... إلخ، تخضع في مقاربتها للطرق التقليدية التي ترتبط بمعنى الحدث كما هو مبين في الفصل الأول. لتوضيح هذه المعطيات ننظر في البنى التالية:

(24) – أ – يقترب / يصل / يجيء/ يدنو وقت المرأة الصغيرة [= العمل].

ب – وصل زمن الرجل الصغير [= العمل].

سنجد إذا تأملنا هذه البنى أن الإطار الزمني الذي يقيّد عملية تأويلها يختلف عن سابقه، بالنظر إلى أن النسق الزمني الذي تُبنى عليه هذه المعطيات يفرض وضع تلك التصورات المعجمية (يقرب، يصل...) على خط التسلسل الزمني، فهي تصورات تحدد علاقة بعد/ قبل بناءً على السبق أو المتابعة على الرغم من أنها ليست طرق تقليدية نتمكن من خلالها من رصد حدود التمايز بين مختلف التصورات المعجمية كما هو مبين في (25)، إذ تشير علامة الاستفهام إلى غرابة الجمل دلاليًّا:

(25) – أ – ؟ زمن شباب المرأة لاحق.

ب – ؟ زمن شباب المرأة سابق.

ج – ؟ يأتي زمن شباب المرأة فيما بعد/ قبل.

تُستمد غرابة هذه البنى دلاليًّا من القراءة الشاذة التي نفهمها، والمرتبطة في كل الجمل بالوصول أو بالولادة الوشيكة لمرحلة الشباب التي نعلم من خلالها وصول مرحلة العمل، وهي خصوصيات تتمظهر من خلال الأفعال التي تدل على السبق/ التتابع، أو حروف الجر قبل وبعد التي تدخل في توافق مع معنى الحدث عندما يتم دمج الكل داخل نموذج التسلسل الزمني، إذا سلمنا بالقول إن هذا النموذج يربط حدثًا واحدًا بآخر، فإن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال فرض مخطط يرتكز على مبدإ التعاون الذي ينص على ضرورة ربط كل الأحداث داخل هذا النموذج بصورة متكاملة، الشيء الذي يجعل من البنى الواردة في (25) بنى شاذة دلاليًّا بالنظر إلى عدم إمكانية الفصل بين الأحداث التي يتم تأويلها في كليتها.

بل العجيب في هذا النموذج أيضًا، أن حروف الجر المتعلقة ب قبل/بعد عندما تستخدم مع علاقة أمام /خلف تعطي نتيجة مفادها عدم التوافق والفشل في بناء نسق دلالي سليم. ولتوضيح ذلك أيضا نتأمل الأمثلة التالية:

(26) أ– ؟ السبت خلف الجمعة (تؤول على مقارنة السبت بعد الجمعة).

ب– ؟ الجمعة أمام السبت (تؤول على مقارنة الجمعة قبل السبت).

تحيل علامة الاستفهام التي تسبق هذه البنى على غرابتها دلاليًّا، فإذا كانت حروف الجر تُعبر في أصل معناها عن علاقات فضائية[29]، فإنها ترتبط

(29) جحفة (2000)، **مدخل لدلالة الحديثة**، ص (118).

بعناصر مكانية ثابتة تتعلق ب أمام / خلف، لذلك فهي عناصر تعمل على خرق ذلك التوافق مع العناصر التي تستلزم منطقيًّا الحركة.

بناءً على هذه المعطيات التي تتعلق بنموذج التسلسل الزمني، فإنه بإمكاننا الآن أن نقدم مجموعة استنتاجات التي تلخص كل المراحل التي تجعل من هذا النموذج نسقًا منسجمًا مع التصورات الزمنية في اللغة العربية.

(27) - أ – تسلسل الأحداث الزمنية ← التاريخ (الكرنولوجي) الأحداث.

ب – استمرار الأحداث الزمنية فيما قبل ← الأحداث السابقة /اللاحقة للأحداث الأخرى.

ج – استمرار الأحداث الزمنية فيما بعد ← الأحداث اللاحقة أو السابقة للأحداث الأخرى.

د – حركة الأحداث الزمنية مع احترام الأحداث الزمنية الأخرى ← الوعي بمرور الوقت.

يمكن أن يمعجم هذا النموذج بأفعال من قبيل: (استمر، دام ، ناهز، قارب....)

- مرت علاقتنا بلحظات عصيبة.
- عرف المغرب سنوات من المعاناة قبل الاستقلال.
- عرف تاريخ أفريقيا الكثير من الانقلابات .
- استمرت معاناة الشعب الفلسطيني سنوات طوال بسبب الحصار.

3 – أدلة عن البناء التصوري للنماذج المعرفية.

قدم "ايفانز" (2004) مقاربة تصورية للنسق الزمني في اللغة الإنجليزية قصد توضيح أوجه الائتلاف والاختلاف في القيود الموجودة بين النسق الزمني

تصوريًّا وبين ما يمكن أن يكون معرفيًّا ضمن نظرية لسانية حديثة، إلى جانب محاولة مماثلة قام بها "لايكوف وجونسون" (1999)[30]، اللذان حاولا أن يبررا من جهة ثانية إظهار البعد التصوريّ في بناء النسق الزمنيّ، معتمدين في ذلك على محور الجسد (الذات) في تشكيل النسق الاستعاري الذي يجعل الفضاء في خدمة البنية الزمنية. بصفة عامة، يجب القول إن النسق الزمني يعطي إمكانات كثيرة لدراسته وقراءته بأبعاد دلالية مختلفة، لكن رغم ذلك، فإن هذه القراءات تُقدّم بمثابة أدلة ندعم من خلالها الافتراض القائل بوجود مستوى تصوري داخل مستوى النموذج المعرفي للزمن. وهي الأدلة التي نسوقها من بعض الدراسات التي عملت على الاشتغال على هذا المستوى من التحليل، ويرتبط جزؤها الأول بالمستوى التصور المعجميّ البسيط الذي يتعلق بالاستنتاجات غير المتوقَّعة في دراسة تموقع الذات (الفرد) ضمن خط التسلسل الزمنيّ وعلاقتها بباقي التصورات الأخرى، أما التصورات المعجمية الثانية فترتبط بالاستلزام الزمنيّ، أما الثالثة فترتبط بذكر بعض الأنماط المميزة للإحالة الزمنية (ايفانز 2004).

1.3 – استنتاجات غير متوقعة.

تتعلق الأدلة الأولى بالتراكيب اللغوية التالية:

(28) – أ – يتدفق الوقت.

ب– الوقت تدفقات.

ج– ينساب الوقت.

(30) نفى المؤلفان في كتابهما "الفلسفة في الجسد" أن يوجد كائن لغته محض تركيب، محض شكل معزول ومستقل عن المعنى وعن السياق والإدراك والعاطفة والذاكرة والانتباه والفعل، فاللغة البشرية ليست إبداعًا جينيًّا تمامًا. فالمظاهر المركزية للغة تنشأ تطوريًّا من النسق الحسي الحركي، ومن أنساق عصبية حفزتنا على فهم أهمية اللاوعي المعرفي وتجسد الذهن والفكر الاستعاري.

قد نتفق منذ البداية، أن هذه الأمثلة تستلزم نسبة حركة مستمرة، وهي النسبة التي تساعدنا في معجمة الفعل "يتدفق" ضمن مصفوفة زمنية. هي المعجمة التي لا تفصل بين مركزية الذات بالنظر إلى الحركة، وبين المصفوفة الزمنية التي نتصور أن الفعل (يتدفق) ضمنها يرتبط بالمطلق والأبدي.

من الاعتبارات التي يجب التنبيه إليها بخصوص هذا التمايز وعلاقته بالبنية التصورية أمران: يتعلق الأول بالإحالة الزمنية التي تُبنى على مركزية الذات وتحركها، ويتعلق الثاني بالإحالة الزمنية التي تؤسَّس على مركزية الذات وثباتها. لذلك قد نسلم جدلا في البنى الواردة في (28) بوجود نقطة زمنية شبيهة بنقطة الإحالة المؤسسة على مركزية الذات، اعتبارًا أن الوقت عندما ينساب / يتدفق فإنه يتدفق بشيء ما أو بشخص ما أو بكيان ما، هو أمر غير متوقَّع بالنظر إلى أجزاء التحليل المقترحة في النماذج التي تحدثنا عنها سابقا؛ أو لنقل إنها نتائج لا تنسجم مع الخلاصات التي تم الخروج بها من تحليلنا للنماذج المعرفية.

وفي دراسة أوردها "ايفانز" (2004) أكد أن المتكلمين الإنجليز في جمل مثل (28) يحيلون دائما على نقطة إسناد تفترض وجود مصفوفة زمنية مؤثرة، اعتبارًا منهم، بوجود إمكانات تصورية تقودهم نحو اعتبار الذات أحد أهم المكونات التي تتمركز ضمن المصفوفة الزمنية، الشيء الذي يعطي الانطباع أن الذات والزمن يصطفان ضمن منطق تسلسلي بشكل يكاد يكون شبيها بصورة وجهًا لوجه الفضائية،لأن الزمن في الإنجليزية يتصور بلغة الفضاء، لكن الغريب أن الجملة لا تحمل أي مؤشرات تجعلنا نسلم بهذه القراءة، كماضٍ تاريخي لا يشفّر من الناحية اللغوية بالنظر إلى العائد.

نجد هذا المعطى متجسدًا عند الذين يتكلمون اللغة العربية بطريقة معيارية أيضا،لأن التفاصيل الأنطولوجية للأشياء تجعلنا نتصور الزمن وكأنه عبارة عن أشياء وكيانات ومواقع وحركة مقابلة للفضاء، الشيء الذي يفسر أن

المتكلمين يستمدون القراءة التي تحتوي على إمكانية تحقيق مواجهة بين الذات والمصفوفة الزمنية التي تم اقتراحها في المثال (27) من إيجاد نفس الفهم الذي كان يشتق من التخطيط أو النموذج المعرفي التقليدي المبني على الحدس، بعبارة أخرى، إن هذه القراءة تفرز نموذجًا معرفيًّا بوحدات مشفرة متمثلة في الذات ونقاط الإحالة التي تؤشر على حركة زمنية مبنية على التجربة، الأمر الذي يُيَسر فهمنا للمثال ويمنحنا إمكانات تأويله تأويلًا يراعي ذلك الدمج الممكن بين الذات وتجربة، وبهذا ندرك أن المصفوفة الزمنية لا يمكن أن تنشأ على أساس دليل لغويّ، الأمر الذي يبرر أن غنى البنية التصورية لا ينحصر في ارتكازها على الدلالة اللغوية، بل في ارتكازها على استنتاجات الإدراك والفعل غير اللغويين[31].

2.3 – الاستلزام الزمني.

يتعلق الدليل الثاني بالاستلزام الزمني الذي يمكن أن يستنتج ويستخلص بصورة حاسمة ومشروطة، ولكي يتم توضيح الأمر قد نقرّ منذ البداية بوجود بعض الاستلزامات التي لا يمكن أن تكون تابعة لمفاهيم معجمية أحادية، على سبيل المثال، اقتران حالة الحركة المستقرة بمدة تجربة المادية، لكي نصير إلى اعتقاد يقرأ النسق الزمني من زاوية أن كل الأشياء في الكون تبدو متساوية، فمعنى المدة لا يمكن أن يفصل، تقليديًّا، عن بقية المفاهيم المرتبطة بحالة الحركة المستقرة، لأن معنى المدة فُصّل تحديدًا ليحيل على مفاهيم مرتبطة بالطول أو القصر، كما هو موضح في السياقات التالية:

(29) – أ – مرّ علي وقت طويل لم أرك فيه.

ب – مرّ الوقت في لمح البصر.

ج – مُنحتُ وقتًا قصيرًا لاتخذ قراري.

(31) محمد غاليم (2007)، **النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة**، ص، 33.

الملاحَظ على هذه البنى أنها تخضع لقاسم مشترك مبني على قراءة المدة، هذه القراءة التي توزع، استلزاميًّا، لمَعنيَين أساسيَين للحركة: يتمظهر الأول في "الحركة البطيئة" والثاني متجسد في الحركة "الطويلة"، هو الاستلزام الذي يفرضه تأويل المثال (29أ)، في مقابل (29ب) و(29ج) اللذين يحيلان على قصر وبطء مدة الحركة. وبسبب تكامل هذين التفريعين ضمن نموذج تحرك الزمن نجد استلزامًا آخر يتعلق بأن مدة التجربة العادية الخاصة بنا يمكن أن تختص بحالة مستقرة أو حركة معتدلة، هو الاستلزام الذي يظهر جليًّا في نموذج تحرك الزمن الذي ينسبه "نيوتن" إلى مفهوم "الزمن المطلق"[32]، يوفر هذا النوع من الاستلزام دليلا على وجود مستوى مختلف للتمثيل العقلي يفوق مستوى المفاهيم أو التصورات المعجمية، إذ يشترط في كل استلزام أن ينظر إليه من خلال "التكامل" الحاصل بين كل التصورات والمفاهيم المعجمية التي تختلق النموذج، لكن مع الإشارة إلى أن تكامل كل هذه التصورات والمفاهيم المعجمية يتم إخراجه ضمن نموذج معرفيّ واحد متضمن لاستنتاجات استلزامية.

3.3 – الأطر المرجعية للنماذج المعرفية.

ترتبط سلسلة الأدلة الثالثة بالأطر المرجعية للإحالة الزمنية المستعمَلة في اللغة العربية، فقد وقفنا عند ثلاثة نماذج معرفية قمنا بفحصها بأطر مختلفة، ويظهر هذا البعد من خلال تكامل عدد من التصورات المعجمية للوقت رغم اختلافها، بدلا من اشتغالها بشكل فردي، علاوة على ذلك، فاللغة العربية إلى جانب لغات كثيرة أخرى تتوفر على ثلاثة أطر مرجعية مقترحة وجدناها تشتغل على تحديد التجربة الزمنية بشكل دقيق ومحدد إلى جانب رصد معالم الحدث، مع مراعاة تجربة الذات مع "الآن" ، وقد يبدو أن هذه المعالم تتمظهر بطرق مختلفة، إذ تبدو التجربة الزمنية في نموذج تحرك الزمن متحركة وتشكل محطة مدركة

(32) كريستوف بوميان(2009)، *نظام الزمان*، ص،406.

ومفهومة بالنظر إلى أن الذات تكون ساكنة أو ثابتة كالأرض لتقود المعطيات إلى تحديد الحدث الزمني (الخاص)، أما في نموذج تحرك الذات، فإن المعطيات تقدم تموقع الذات، فهي الوجه الذي ينتقل عبر الزمن محددًا وجهته، ومدركًا عبر سيرورة معينه موقعه داخل خريطة الزمن، أما النموذج المعرفي الثالث، فإنه يتمظهر في نموذج التسلسل الزمني، الذي أُسّس على معطيات معرفية تسعى إلى القول إنه غير معني بتحديد الأحداث أو اللحظات الزمنية بالنظر إلى موقعه الذات، فهذا النموذج يوفّر إمكانات تقويم العلاقات المبكرة أو الحديثة، إذ يعمل على ربط الأحداث بعضها ببعض، ويعمل أيضا على فرض تسلسل للحركة الزمنية عبر وسيط التعاون و التعاقب الكرنولوجي.

فهذه الأنماط الثلاثة المميزة للإحالة الزمنية، جعلت اللغة العربية تكشف عن ثلاثة أنواع من النماذج المعرفية التي تضبط سياقها وسلوك إحالتها الزمنية، وتعطي إمكانات لتقييم التجربة بالنظر إلى أوجهها المختلفة مع الزمن.

خاتمة

حاولنا في هذا البحث أن نقدم بعض النماذج المعرفية التي يختص الزمن بتوظيفها، من خلال التركيز على مجموعة من الملامح العامة التي تساعدنا في فهم الزمن ومنسقته، فإذا كان الزمن في اللغة العربية يُتصور معرفيًّا بلغة الفضاء، فإنه لا يمكن أن يؤشر عليه إلا من خلال الكيانات والأمكنة والحركة، لذلك يوجد الزمن والذات في المكان نفسه ممّا يقتضي أن تخترق حركة الزمن الذات باعتبارها كيانات متحركة بالنظر إليها، فتعمل على توجيه الزمن نحوها، فتتشكل سرعة الزمن بالنظر إلى الذات، هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فيمكن أن تكون الأزمنة مواقع ثابتة والذات تتحرك إليها فتخترقها ليكون للزمن امتداد يمكن

قياسه، إذ يمكن أن نتصوره كيانًا ممتدًّا شأنه في ذلك شأن الأمكنة، ممّا يجعله موسومًا بالمحدودية.

يُظهر هذا التمايز في تفاصيل بناء النماذج المعرفية للزمن أنه لا يمكن الاقتصار على أحدهما دون الآخر في بناء الإحالة والإشارة إليها، فإذا كان الزمن يُفهم (استعاريًّا) بلغة الحركة والكيانات والمواقع، فإن ذلك يتماشى مع معلوماتنا البيولوجية، فنحن نتوفر في نسقنا البصري على مجموعة من الآليات (الميكانزمات) المعرفية التي تساعدنا على اكتشاف الحركة والأشياء والأحداث، إلا أن الأمر لا يمكن أن ينطبق على الزمن إلا من الزاوية التي تربطه بلغة الحركة، فتكون النتيجة الطبيعية لهذه الخلاصة أن بنية النسق المعرفي للزمن بنية بيولوجية تساهم في تحديد الاستنتاجات المجرّدة حول المقاييس التي يفترض من خلالها مرور الزمن في علاقته بالذات إن حددّها. لقد أظهر "جاكندوف" (83)، "لايكوف وجونسون" (99)، " ايفانز" (2004) أن الزمن مُبنيَن معرفيًّا بمفاهيم فضائية، وأن تحديد المواقع يتم بالطريقة نفسها التي يتم بها تحديد الزمن، ويتجلى ذلك من خلال تصوراتنا الزمنية التي تنكشف بناء على تموقع الماضي وراء الذات، والمستقبل أمامها، يدفعنا الأمر إلى اعتبار الماضي والمستقبل أنساقا تصورية (استعارية) تعكس تصورنا الحركي للزمن، إذ يمضي بينما نقف نحن لنستقبله، فالزمن كيان يتحرك في اتجاهنا ويخترقنا في حركته، والمستقبل يتحرك في اتجاهنا فنستقبله ويمضي بنا مخترقًا ذواتنا، قبل وصوله إلينا ليكون أمامنا، غير أنّنا بيّنا تبعًا ل"ايفانز" (2004) ، (2006)، "لايكوف وجونسون" (80) ، (99)، أن الأزمنة تتوالى وتتعاقب بالنظر إلى الذات التي تظل ثابتة، لذلك فإن التراكيب التي ننتجها تراعي بشكل كبير هذه النماذج، ولا يمكن أن تؤطر خارجها.

- سأسافر الأحد المقبل (زمن متحرك، الذات ثابتة).
- سأحتفل بعيدي ميلادي بعد غد (زمن ثابت ، الذات متحركة).

ما يمكن أن نخلص إليه هو أن الزمن كيان مستمر التطور، قد يخترقنا وقد نخترقه، لكنه ينظّم سيرورات تفكيرنا حوله، ويساهم في جعلنا نحيا معه بنوع من الحوسبة الدقيقة لأفعالنا وأحداثنا، إذ يجعل منّا ذواتًا لها قيمة إحالية كبيرة، بل إنه يمنحنا فرصة أن نكون ذواتًا فاعلة ومؤطّرة لنا إمكانية القبض عليه وتطويعه من خلال التأشير إلى اللحظة والمدة والفترة والحدث، إلى جانب الماضي والحاضر والمستقبل، واعتبارها تصورات استعارية كبرى، لذلك فلا يمكن أن ننظر إلى الزمن بمعزل عن باقي المكونات الأخرى التي تتحدث عن اليوم والشهر والسنة لأنها تساعدنا في تسلسلها على تقييم العلاقات التي ترتبط بالتسلسل الزمني في مطلقه.

المراجع العربية

1 – عبد المجيد جحفة (2011)، **أجسادنا في الفضاء تولد الاستعارات،** ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتواصل، إعداد خالد برادة، عبد المجيد جحفة، منشورات المختبر،/ كلية الآداب، بني امسيك – البيضاء.

2 – عبد المجيد جحفة (2000) ، **مدخل إلى الدلالة التوليدية،** دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

3 – عبد المجيد جحفة (2006)، **دلالة الزمن في اللغة العربية،** دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، المغرب.

4 – كاستون باشلار (92)، **جدلية الزمن،** ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت ، لبنان.

5 – كريستوف بوميان (2009)، **نظام الزمان،** ترجمة بدر الدين عرودكي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

6 – لايكوف و جونسون (1980)، **الاستعارات التي نحيا بها،** ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب.

7 – محمد غاليم (2007)، **النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة،** دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

8 – محمد غاليم (2001)، **سمات جيهية في الأشياء والأوضاع،** أبحاث لسانية، المجلد6، العدد 2، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.

9 – محمد الملاخ (2010)، **الزمن في اللغة العربية،** بنياته التركيبية والدلالية، دار الأمان، الرباط.

المراجع الأجنبية

1 - Evans, V. (2005). **The Meaning of Time**: polysemy, the lexicon and conceptual structure. *Journal of Linguistics.*

2 - Evans, V. (2004). **The Structure of Time**: Language, Meaning and Temporal Cognition. Amsterdam: John Benjamin.

3 - Haspelmath,M (1997). **From Space to Time**, Lincom EUROPA, München, Newcastle.

4 - Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). **Metaphors We Live By**. Chicago: University of Chicago Press.

5 - Radden, Günter. (2003). **The Metaphor TIME AS SPACE across Languages**. Julia ,(eds.)Hamburg.